مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 08 العدد: 01 جانفي (2024) ص 331 / 342

قراءة تحليلية لقصيدة"لاعب النّرد"للشاعر الفلسطيني محمود درويش

An analytical reading of the poem "The Dice Player "by Palestinian poet Mahmoud Darwish

عامر صبرينة *

جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)

sabrinaameur5@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/08/29
تاريخ القبول:
2024/01/04

الكلمات المفتاحية:
- ✓ قراءة تحليلية
- ✓ لاعب النرد
- ✓ محمود درويش

الملخص:

يعتبر الشاعر الفلسطيني محمود درويش من القامات الشعرية العربية التي أنتجت خطابا شعريا فكريا و فلسفيا متميزا فقد استطاع أن يخلق لنفسه نهجا متفردا في قصائده و هو ما لمسناه خاصة في رائعته"لاعب النرد" فكانت محطة تستدعي الوقوف عندها بغية استجلاء تفاصيلها و التي كشفت في خلاصتها سردا مطولا لسيرة ذات شعرية و احتفاء بمغامراتها الإنسانية في جو يخاطب العقل و الأحاسيس كما أنها أفصحت بعد عديد المراوغات مع الموت و في ثوب تراجيدي عن بيان ختامي بأن الوجود الإنساني يخضع للعدم و تحكمه الصدفة و مفارقات الحياة الساخرة.

Article info

Received
29/08/2022
Accepted
04/01/2024

Abstract :

The Palestinian poet Mahmoud Darwish is considered one of the Arab poetic figures that produced a distinctive intellectual and philosophical poetic discourse, he was able to create for himself a unique approach in his poems ,which is what we have seen, especially in his masterpiece "The

*المؤلف المرسل

Dice Player",in which was a station that called for standing there in order to clarify its details, that revealed in its conclusion a long account of poetic biography and celebrating her human adventures in an atmosphere that addresses the mind and sensations,after many quirks with death and in a tragic dress ,it revealed a final statement that human existence is subject to nothingness and governed by chance and ironic paradoxes of life.

Keywords:
- ✓ *Analytical Reading*
- ✓ *Dice Player*
- ✓ *Mahmoud Darwish*

. مقدمة:

لقد حظي شعر محمود درويش باهتمام الدّارسين و النّقاد منذ بداياته الشّعرية وحتّى يومنا هذا،لكنّ هذا الاهتمام تضاعف أكثر خاصّة بعد صدور آخر ديوان له و الّذي كان تحت عنوان "لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي"،حيث فتح مساحة لجدل واسع لما حمله من قصائد اختلفت في نمطها و مضمونها عمّا ألفه قرّاء الشّاعر،إذ كان هذا الدّيوان عصارة تجارب الشّاعر الحياتية و ما ظل يؤرّق نفسه من هواجس و هموم ،ساءل فيه الأزمنة و الأمكنة و الهوية ،ناجى فيه غربته و شدّ فيه أوتار الحنين للأحبة،تعانق فيه الألم والحلم و الأمل و هو ما تجلّى خاصّة في قصيدته الطّويلة الجارحة "لاعب النرد"والتّي اعتبرها الكثير من النقاد بيانا ختاميا لصراع الشّاعر الطّويل مع الموت،إذ تشكّل هذه القصيدة نصّا شعريا يحوي الكثير من الجماليات و الدّلالات خصوصا ما تعلّق بمضمونها الشّعري "لاعب النرد" نص يحفل بالمفارقات الساخرة الموغلة في الوعي التراجيدي بعبثية الحياة،نص يطلّ على الذات الإنسانية متأملا كينونتها ووجودها ،نص يتلوى في اللّو و يطرق باب كلّ الأمنيات المشتهاة،نص يحتفي بسيرة ذات شعرية بثوب تراجيدي فلسفي تأمّلي أعلن فيه الشاعر عن بساطة أناه هذه الأنا القائمة على رؤية فلسفية للحياة و الوجود و الشعر و الفن قائمة على المصادفة التي تحوك التفاصيل من دون تدخل أحد،إنها أنا الشّاعر الّتي نعت الأقدار لكنها احتفت بها في الآن ذاته، "لاعب النرد" نص شعري قارب المصير البشري من زاوية معروفة مسبقا لكن في ثوب جديد غير مألوف،و اعتمادا على هذا الأساس سنطرق باب هذه القصيدة من عنوانها لماذا يا ترى اختار درويش هذا العنوان بالذّات لقصيدته؟ وإلى أيّ مدى تعالق هذا العنوان مع مضمون القصيدة؟ وما هي القضايا الشعرية التي تطرق إليها الشاعر في قصيدته؟ هذا ما ستحاول هذه القراءة توضيحه و تتبّعه باتّباع منهج تحليلي يحاول استنطاق هذا النّص الشعري بسبر أغوار ما بين السطور و اكتشاف مضامين الألفاظ و ما خلفها من أفكار بتتبّع مكوّناته اللّغوية و تراكيبه و تحليل إيحاءاته المعجمية،من أجل كشف النّقاب عن خصوصية هذا المضمون الشّعري و إيضاح دلالاته بملامسة قضايا جوهرية هامّة في القصيدة و تصنيفها في مستويات و جزئيات أوّلها:

2. العنوان:

1.2 بنيته ودلالته:

لابدّ قبل الولوج إلى مضمون القصيدة التطرّق لعنوانها باعتباره أحد المفاتيح الأوّلية للقراءة إذ يعدّ"نظاما سيميائيا ذا أبعاد دلالية،و أخرى رمزية،تغري الباحث بتتبع دلالاته و محاولة فك شيفرته الرامزة" (قطوس، 2001)،فالمتأمل لعنوان القصيدة تتبادر لذهنه عديد التّساؤلات لماذا اختار درويش هذه الصّياغة بالذّات؟و هل لاعب النرد هو الشّاعر؟ و ما العلاقة بينهما؟ ما الدّلالة أيضا التّي يعكسها هذا العنوان و التّي يمكن أن تجرّنا لاستكناه مضمون القصيدة خاصّة و أنّ العنوان"آخر ما يكتب من النّص الشّعري،و هو بذلك خلاصة دلالية لما يظن الشّاعر أنه فحوى قصيدته" (الجزار، 1998).كما أنّه "المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص و تسهيل مأمورية الدّخول في أغواره و تشعباته الوعرة" (علوش، 1984)

*يتكوّن عنوان القصيدة من مفردتين هما:**لاعب** و لاعب من النّاحية الدّلالية توحي بالاستمرار في اللّعب دون توقّف أو انقطاع أمّا المفردة الثّانية **النرد** فقد ورد معناها في المعجم الوسيط كالآتي:"لعبة ذات صندوق و حجارة و فصّين،تعتمد على الحظ و تُنقل فيها الحجارة على حسب ما يأتي به الفصّ:[الزّهر]،و تعرف عند العامّة بـ[الطاولة].يقال:لعب بالنّرْد." (مجمع اللغة العربية، 2004)، وفي ظلّ التّحديد المعجمي يتّضح جليّا أنّ الحظّ هو من يحكم هذه اللّعبة و هو مربط الفرس فلاعب النرد لاعب يتوقّف نجاحه أو فشله على الحظّ هذا الأخير الّذي كان دالا أساسيا و محوريا في ثنايا هذا النّص الشّعري، فبالعودة إلى القصيدة نجد عدة مفردات تنبثق من سياق هذا المعنى كمثل(لا دور لي-من سوء حظّي-من حسن حظّي-مصادفة...)فالعنوان إذن اضطلع بمهمّة إيحائية حول مضمون هذه القصيدة و شكّل فضاء علائقيا معها. أمّا بخصوص اختيار درويش هذا العنوان فربّما يرجع لكونه كان لاعب نرد فاستقاه نتيجة ولعه بهذه اللّعبة التي كان "ينهمك في أجوائها،يصرخ أحيانا،و يغتاظ أحيانا أخرى مثل أي طفل " (قلقيلية تايمز، 2016) فمن الممكن أنّه استوحى من هذه الأجواء عنوان قصيدته،في حين اعتبر البشير ضيف اللّه أنّ محمود درويش قد اختار عنوان قصيدته نتيجة تأثّره بالشّاعر الفرنسي ستيفان مالارميه نتيجة التعالق الحاصل بين النصّين "لا أشكّ لحظة واحدة في حدوث تقارب بين نص الشاعر الفرنسي الكبير"ستيفن مالارميه"الذي عنوانه"رمية نرد لا تخطئ أبدا الصدفة

(Un coup de Dé jamais n 'abolira le hasard)(2010-2009 ،ضيف الله) "" ،و نص الشاعر الراحل"محمود درويش

و الغريب أن كلاهما كتب قصيدته في أواخر حياته حسب ذات الباحث و هو ربّما ما يرجح أيضا إمكانية أن يكون محمود درويش قد استقى عنوان نصه الشعري من قصيدة مالارميه و هو ما يعتبر تأكيدا أيضا على"حجم انفتاح الشاعر على العوالم الشعرية الفرنسية و العالمية،خاصة و أنه أقام في "باريس" مطولا." (ضيف الله، 2009-2010، صفحة 70).

و بغضّ النّظر عن كل ما قيل حول عنوان هذا النّص الشعري فإنّه يظلّ بدلالته و إيحاءاته جديرا بأن يقحمنا مباشرة في فهم الجوّ العام للقصيدة و يعكس مضمونها الشّعري إذ"هو الظاهر الذي يدل على باطن النّص و محتواه" (البستاني، 2002) فالحياة بكل مفرداتها و تناقضاتها لعبة و الشاعر/اللاعب "حاضر بجسده و نفسه في لعبة الحياة ،و هي لعبة قد تبدو آثارها مجسدة و منحوتة على الجسد مكنونة بين ثنايا النص" (داود، 2015)

3.مضمون القصيدة

1.3 سؤال الأنا و رحلة البحث عن الهوية::

لطالما اتّسمت القصيدة الدّرويشية بقلق السّؤال و التّحديق الطّويل في مرآة الذّات التّي سكنتها هواجس الموت و الفناء، ومواجع العشاق و أسئلة البحث عن الذّات و الهوية في ظلّ واقع فلسطيني أحكمت عليه قبضة الظّروف التّاريخية و الاجتماعية و السياسية و الثّقافية الّتي فرضها عليه المحتل و في ظلّ التجارب القاسية الّتي عايشها الشاعر مع مرضه.لقد جعل محمود من قصائده الشّعرية منبرا لطرح عشرات الأسئلة حول كينونته و هويته الّتي أضحى الحديث عنها هاجسا و ضرورة ملحّة عنده تتباين طرائق التّعبير عنها حيث يقول:"كان سؤال الهوية هو السؤال الملح في شبابي أو في صباي. و هو مازال مطروحا حتى الآن،و لكن في طرق مختلفة،و في أشكال تعبير مختلفة" (وازن، 2006) ،فبالعودة إلى نص القصيدة نجد درويش يفتتحها بسؤال إنكاري يتساءل فيه عن ماهية أناه في جوّ من التشكيك و النّفي،هذا السؤال الّذي"يعبر عن تحير المتكلم و عن تراجع اليقين الذي يحمله الشعراء إلى القراء عادة و تحديدا مع الشّعراء الرّومنطقيين الّذين تشبهوا بالأنبياء و الرّسل أصحاب الرّسالات." (الجوة، 2015) و هو التحير الذي صدر عن"ذات محبطة قلقة ساخرة إلى حد مأساوي" (المهداوي، 2013) هذه النظرة المأساوية في تأمل الذات كانت دافع درويش لأن يعترف في نهاية المطاف ببساطة أناه وأنّه مثل الجميع أو أقلّ شأنا فلا شيء يميّزه عنهم عاش في هذه الحياة كلاعب نرد يربح جولة و يخسر أخرى قائلا:

من أنا لأقول لكم
ما أقول لكم؟
و أنا لم أكن حجرا صقلته المياه
فأصبح وجها
و لا قصبا ثقبته الرياح
فأصبح نايا..
أنا لاعب النرد،
أربح حينا و أخسر حينا
أنا مثلكم
أو أقلّ قليلا..." (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014)

هذا المقطع الافتتاحي الذي يقدم فيه الشاعر"ما يشبه الاعتراف الصّادق و التّواضع النّبيل." (الجوة، 2015، صفحة 351) لذات تعرف قيمتها لدى الجميع . و هذا التواضع المعرفي و التهوين من شأن الذّات يكشف أيضا بوضوح حالة درويش النّفسية التّي يعلو فيها صوت الألم و القلق ،فلطالما كان من سمات الشعر الحداثي"أن يعبر عن قلق الإنسان أبدا،فالشاعر الحداثي متميز في الخلق و شعره مركز استقطاب كيانه ووجوده يعانيها في حضارته و أمته و في نفسه هو بالذات" (أدونيس، 1978)،هكذا و في تقريرية مطلقة يعلن درويش أنّ الحياة في نظره لعبة حظّ و سيرته تتشكّل من خلال هذا الحظّ "و لكي يقوم بتشعير هذا الموقف يعود إلى سيرته الأولى في تقديم نفسه و مراجعة هويته،مبرزا أنّه في يد الأقدار،و هو كلما أمعن في التواضع المعرفي والرقة الشعورية ارتفع إلى آفاق عليا في مدارج العظمة" (فضل، محمود درويش حالة شعرية، 2010) يقول:

ولدت إلى جانب البئر
و الشجرات الثلاث الوحيدات كالراهبات
ولدت بلا زفّة و بلا قابلة
و سمّيت باسمي مصادفة
و انتميت إلى عائلة
مصادفة،
وورثت ملامحها و الصفات
و أمراضها:
أولا-خللا في شراييني
و ضغط دم مرتفع
ثانيا-خجلا في مخاطبة الأمّ و الأب
و الجدّة-الشجرة
ثالثا-أملا في الشّفاء من الإنفلونزا
بفنجان بابونج ساخن
رابعا-كسلا في الحديث عن الظبي و القبّرة
خامسا- مللا في ليالي الشّتاء
سادسا- فشلا فادحا في الغناء..." (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 34)

هكذا يستمر درويش في سرد تفاصيل هذه الأنا متطرقا"لمشكلة الدهشة أمام اسمه و اعتباره مجرد مصادفة،مثله في ذلك مثل وطنه و قضيته و حياته و شعره و كينونته" (فضل، محمود درويش حالة شعرية، 2009)،إذ يشكل درويش بهذا المقطع أيقونة جامعة لولادة الإنسان في رحم المكان" (الجوة، 2015، صفحة 353) هي طقوس الولادة الّتي تمتد حولها سحب الحزن فتمسح كل دلالات الفرح بمثل ما أفادته هذه التّراكيب(ولدت بلا زفة-بلا قابلة-خللا-مللا-فشلا) و التذكير بمثل هذه التفاصيل حسب أحمد الجوة له هدفان:"أوّلهما تنويع الكتابة على تفاصيل السّيرة الشّخصيّة للشّاعر الّذي صار وعيه بالنّهاية يشتدّ و يتواصل،فكأنه حين يستعيد حدث الولادة يستمدّ من ذلك قوة أخرى لمواجهة الموت،و أمّا الهدف الثاني فهو التمهيد لقادم المصادفات الّتي تتحكم في حياة الإنسان ابتداء من حادثة الولادة،و الجامع بين الولادة و أطوار النشأة و التقدّم في التمرّس بالحياة هو أحكام المصادفة و ألاعيب الحظّ" (الجوة، 2015، صفحة 353) .إذن"هاهي بطاقة هوية أخيرة،تغلق مع البطاقة التي دخل بها دنيا الشعر دائرة العودة المكثفة للأسلوب الحسي لتشعير دلالات الحياة و مكاشفة معناها بطريقة سردية حميمة" (فضل، محمود درويش حالة شعرية، 2010، صفحة 135) ،هذه الحياة الّتي جعلت من درويش يجرّ كل مفرداتها و تفاصيلها إلى منطقة يشوبها الالتباس هي منطقة الحظّ و المصادفة.

2.3 القدر/عبثية المصادفة:

يذهب درويش بعيدا في قصيدته"لاعب النرد" إلى فلسفة تتأسس على دور الصدفة في تكوين الوجود الإنساني و تحديد قدره، فلا حقيقة إلا تلك التّي تخطّها المصادفة، و لاعب النرد قد يصيب أحيانا و قد يخطئ أحيانا أخرى و المسألة تعتمد على رمية حجر النرد، و الرّقم الّذي تنتهي إليه ،فهكذا هي الحياة و هكذا هي عوارضها تقوم على أساس من الحظّ هذه المصادفة التي تؤكد في كل مرّة "هشاشة الوجود البشريّ" (الجوة، 2015، صفحة 354):

كان مصادفة أن أكون
أنا الحيّ في حادث الباص
حيث تأخّرت عن رحلتي المدرسيّة
لأني نسيت الوجود و أحواله
عندما كنت أقرأ في اللّيل قصّة حبّ
تقمّصت دور المؤلف فيها
و دور الحبيب-الضحيّة
فكنت شهيد الهوى في الرواية
و الحيّ في حادث السير/" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 36)

هي تلك المصادفة الّتي تضع درويش كل مرّة في مواجهة الموت غير أنّها تعود لتؤكد في الوقت ذاته"قويّ تعلّقه بالحياة بما هي المطلب الإنساني الأسمى و الرّهان الوحيد المتبقّي إثر خسارة سائر الرّهانات" (الجوة، 2015، صفحة 354) ففي النهاية وجد الشاعر دائما حيا بفضل الصدفة:

نجوت مصادفة:كنت أصغر من هدف عسكريّ
و أكبر من نحلة تنتقل بين زهور السياج
و خفت كثيرا على إخوتي و أبي
و خفت على زمن من زجاج
و خفت على قطتي و على أرنبي

و على قمر ساحر فوق مئذنة المسجد العالية
و خفت على عنب الدالية
يتدلّى كأثداء كلبتنا...
و مشى الخوف بي و مشيت به
حافيا،ناسيا ذكرياتي الصغيرة عما أريد" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 38)

يقول في موضع آخر أيضا:

و من حسن حظّي أن الذئاب اختفت من هناك
مصادفة،أو هروبا من الجيش/" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 39)

هي إذن فلسفة الشّاعر الوجودية و الّتي جاءت نتاج تأمّلاته في الذّات و معنى الحياة ليصبح فيها السؤال المشروع و المطروح:"هل تتجه الحياة إلى غاية أم لعلّ الإنسان ابن الصدفة وحدها فهي الّتي تعطيه حياته و شخصيته أو تسلب منه الاثنتين.و عندما تتحول الحياة إلى ما يشبه "اليانصيب" يصبح لابد من التّساؤل عن غايتها" (جحا، 2009)، هكذا و في تقريرية مطلقة أراد درويش "أن يقول لنا أنه ملقى في هذا الوجود،و لا دور له في وجوده،بل لا دور له بكل شيء" (إدلبي، 2016) يقول:

لا دور لي في حياتي
سوى أنني،
عندما علّمتني تراتيلها،
قلت:هل من مزيد؟
وأوقدت قنديلها
ثمّ حاولت تعديلها..." (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 39)

ليحلّق درويش بعدها بعيدا في أرض المجاز و يصبح للصدفة يد في الحبّ فهي من مكّنته أن يكون محبّا يقول:

كان يمكن ألّا أحبّ الفتاة التي
سألتني:كم الساعة الآن؟
لو لم أكن في طريقي إلى السينما...
كان يمكن ألاّ تكون خلاسيّة مثلما
هي،أو خاطرا غامقا مبهما..." (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 42)

هو منطق المصادفة أيضا من يصنع التّاريخ و يرتقي به إلى رتبة القدسية فتولد من رحمه أحداث تاريخية مقدّسة يقول درويش:

و مصادفة،صارت الأرض أرضا مقدّسة
لا لأنّ بحيراتها و رباها و أشجارها
نسخة عن فراديس علويّة
بل لأنّ نبيّا تمشّى هناك
و صلّى على صخرة فبكت
و هوى التلّ من خشية اللّه
مغمى عليه" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 50)

هكذا هي فلسفة درويش الّتي يتحوّل فيها التّاريخ إلى سلسلة من المصادفات تقودنا لامحالة إلى أن:" نكتشف بين التّاريخ و المصادفة رابطة وثيقة،تجعل من المصادفة تفسيرا ماديا موضوعيا له." (العالم، 2003) هي إذن خلاصة تأملات درويش الفكرية و الفلسفية الّتي حولت منطق الحياة عنده و كلّ ما فيه يحيل إلى المصادفة و يسبح في فلكها.

3.3 سؤال الشعر/القصيدة وحي:

يستمرّ درويش في حياكة أوديسته الخاصّة الّتي يتجرّد فيها من كلّ إرادة أو قدرة فاعلة على اتّخاذ الموقف أو القرار فحتّى موهبته و إبداعه الشّعري ضرب من الوحي والحظّ فلطالما كان الشّعر أحد هواجسه الكبرى إذ"ما كان يتكلم عن الحب أو الموت أو الطبيعة أو الحياة الشخصية إلّا و الشعر هو الخلاصة." (بيضون، 2009) فهو حين يقامر بالقصيدة مقامرته بالحياة و بالوجود لا يكون واثقا من نجاحه في إنشائها على أكمل صورة و في الوصول بها إلى نهايتها لأنّ نهايتها تظلّ عصية على البلوغ." (الجوة، 2015، صفحة 363) فقد اعتبر أنّ"الكتابة مغامرة بلا ضمانات" (درويش، محمود درويش و حكاية هذه المقابلة/الكمال في الشعر مستحيل،لذلك أفكر دائما بالنقصان، 2017) يخوض غمارها الشّاعر إذ يقول:

كان يمكن أن لا يحالفني الوحي
و الوحي حظّ الوحيدين
إنّ القصيدة رمية نرد
على رقعة من ظلام
تشعّ،و قد لا تشعّ
فهوي الكلام
كريش على الرّمل/" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 41)

يؤكد الشاعر في هذا المقطع"أن دوره في القصيدة لا يتعدى دور الشاعر(الملهم) أو الوسيط،بين ربة الشعر"الوحي" و القارئ الذي يتلقاه.لأن الشعر،أو القصيدة،بكلمة أدق،إذا لم تصدر عن إلهام،ووحي،فهي مثل رمية نرد فاشلة تفتقر للإشعاع،و الألق،فتتهاوى في مطاوي النسيان،مثل ريش في مهب الريح." (خليل، 2011) و الشعر أيضا "لا يعدو أن يكون عزفا و نغما،و امتثالا لقواعد الإيقاع،و اللعب بالكلمات،مثلما يلعب العازفون بالأوتار لتصدر نغمات مؤتلفة تارة،و مختلفة تارة أخرى،لكنّها مطربة على أيّ حال،لأنها تهتك حجاب المعنى" (خليل، 2011، صفحة 166) فتجربة الكتابة الشعرية لدى الشاعر لا تختلف"عن تجربة الصّوفيّة ينقطعون عن الدّنيا تعبّدا و مجاهدة روحانية يفضي فيها الترقّي في الأحوال و المقامات إلى مرتبة الكشف و التجلّي" (الجوة، 2015، صفحة 364) حيث يقول:

لا دور لي في القصيدة
غير امتثالي لإيقاعها:
حركات الأحاسيس حسّا يعدّل حسا
و حدسا ينزّل معنى
و غيبوبة في صدى الكلمات
و صورة نفسي التي انتقلت
من أناي إلى غيرها
و اعتمادي على نفسي
و حنيني إلى النبع/" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، الصفحات 41-42)

هكذا تصبح قصيدة درويش رمية نرد يحكمها الحظّ فالشاعر من اعترف"أنّ الحظّ في آخر الأمر هو الّذي يلعب دورا في نشأة الشّاعر،و في قدرته على التطوّر." (وازن، 2006، صفحة 63) ليعود مؤكّدا الفكرة ذاتها حين يقول:

لا دور لي في القصيدة إلاّ

إذا انقطع الوحي

و الوحي حظّ المهارة إذ تجتهد" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 42)

و هكذا"يصبح الوحي قبض المهارة و الاجتهاد،و أي صنعة لا تتأتى إلا من الجهد الإبداعي و المعرفي،الذي يتيح للذات أن تبتكر القصيدة كي يستوي وجودها في مقام الإبداع" (إدلبي، 2016، صفحة 107)فالإبداع الشعري هو مهارة و اجتهاد وإلهام و "الإلهام حظ،و لكنه حظ مجتهد!" (درويش، محمود درويش و حكاية هذه المقابلة/الكمال في الشعر مستحيل،لذلك أفكر دائما بالنقصان، 2017)

4.3 سؤال الموت/جدلية الوجود و العدم:

كثيرا ما ارتبط سؤال الوجود عند درويش بسؤال الموت و هو ما يفسّره قوله " لعل سؤال الموت في شعري شديد الصلة بالبعد الميتافيزيقي. هناك نظرتان إلى الموت: نظرة دينية تقول إن الموت هو انتقال من الزائل إلى الخالد، و من الفاني إلى الباقي،و من الدنيا إلى الآخرة. و هناك نظرة أخرى،أو فلسفية،تعتبره نوعا من الصيرورة، و ترى أنّ الحياة و الموت مترافقان في جدلية أرضية." (وازن، 2006، صفحة 91) و مردّ ذلك أنّ"الشاعر أكثر إحساسا بقضية الموت و الفناء،لأنّه أكثر تأمّلا في الوجود و العدم،يستبطن الأشياء يتغلغل فيها بحثا عن حقيقتها،يتابعها و هي في أوجّ حركتها و ديمومتها،إنّه يكسر الحاضر الآني،منطلقا إلى الآتي" (هلال، 2005) تتملكه في ذلك الرّغبة بالانغماس في الحياة و التمتّع بنعيمها و هي نفس الرّغبة الّتي عبر عنها درويش فهبّ محتفيا منتشيا يهديها سلامه حين يقول:

للحياة أقول:على مهلك، انتظريني

إلى أن تجفّ الثُّمالة في قدحي...

في الحديقة ورد مشاع،و لا يستطيع الهواء

الفكاك من الوردة/

انتظريني لئلّا تفرّ العنادل منيّ

فأخطئ في اللحن/

في الساحة المنشدون يشدّون أوتار آلاتهم

لنشيد الوداع.على مهلك اختصريني

لئلّا يطول النشيد،فينقطع النبر بين المطالع،

وَهْيَ ثنائيّةٌ و الختام الأحاديّ:

تحيا الحياة!" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 44)

هي حالة من الحبّ للحياة و الرّغبة في مزيد منها لاحتضانها:

على رسلك احتضنيني لئلّا تبعثرني الريح/

حتى على الريح،لا أستطيع الفكاك

من الأبجدية/" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 44)

فلربّما استشعر الشّاعر دنوّ أجله بالقدر الّذي أراد فيه لقصيدته أن تخترق زمانها و مكانها و أبجديتها كي تصبح قادرة على الصّمود و عصيّة على الضمور،و بهذا يصبح البحث عن مزيد من الأمل و الحلم مشروعا إذ"كلّما انغمس الإنسان في الحياة أدرك عن يقين نهايته،فيحاول أن يحقق قيمة تتناسب مع حلمه و قلقه" (هلال، 2005، صفحة 14) يقول درويش:

و لاثنين من أصدقائي أقول على مدخل الليل:

إن كان لابدّ من حلم،فليكن

مثلنا...و بسيطا

كأن: نتعشّى معا بعد يومين

نحن الثلاثة،

محتفلين بصدق النبوءة في حلمنا

وبأنّ الثلاثة لم ينقصوا واحدا

منذ يومين،

فلنحتفل بسوناتا القمر

و تسامح موت رآنا معا سعداء

فغضّ النظرْ!" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، الصفحات 49-50)

هي حالة إذن من القلق الوجودي الّذي تعيشه الذّات و شغل حيّز تفكيرها ليقودها قلق السّؤال للسّخرية من عبثية الحياة وجبرية الأقدار فيصبح معنى الوجود البشري رهين لحظة و صدفة غير متوقّعة يقول:

كان يمكن أن تسقط الطائرةْ

بي صباحا،

و من حسن حظّي أنّي نؤوم الضحى

فتأخّرت عن موعد الطائرةْ

كان يمكن ألّا أرى الشام و القاهرة

و لا متحف اللوفر،و المدن الساحرة

كان يمكن،لو كنت أبطأ في المشي،

أن تقطع البندقيّة ظلّي

عن الأرزة الساهرة

كان يمكن،لو كنت أسرع في المشي،

أن أتشظّى

وأصبح خاطرة عابرة

كان يمكن،لو كنت أسرف في الحلم،

أن أفقد الذاكرة" (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، صفحة 52)

هي تلك المفارقات العجيبة و السّاخرة و الّتي منحت درويش فرصة ربح مزيد من الحياة مقابل فرار عبثي من سطوة الموت جعلته "يستشعر هشاشة الإنسان أمام قهر الزّمن" (هلال، 2005، صفحة 28) ،و يدرك أنّ موته حتّى و لو تأجّل لصدفة أو لعلّة فهو واقع لامحالة،و"لما كان الموت مفهوما تجريديا أو شيئا منعدما باعتبار أن حضوره يلغي كل وجود" (المساوي، 2009)

كان لابدّ لدرويش في الأخير أن يعترف بأنّ كينونة الإنسان مرشّحة للعدم، و الموت لاريب حقيقة يتساوى فيها كلّ البشر فيكشف النّقاب عن بيانه الختامي في القصيدة في ثوب تراجيدي يتسلّل فيه الأسى و الحزن إلى صوته قائلا:

و من حسن حظّي أنّي أنام وحيدا
فأصغي إلى جسدي
و أصدّق موهبتي في اكتشاف الألمْ
فأنادي الطبيب،قبيل الوفاة،بعشر دقائق
عشر دقائق تكفي لأحيا مصادفة
و أخيّب ظنّ العدم
من أنا لأخيِّب ظنَّ العدم؟." (درويش، لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، 2014، الصفحات 52-53)

4. خاتمة:

يمكن القول في الأخير بأنّ قصيدة "لاعب النرد" قصيدة ذات فرادة و خصوصية في جانبها المضموني مثلما هي في جانبها الفنّي،روت سيرة ذات شعرية و حاكت أدقّ تفاصيل وجودها في سياق تراجيدي ملتحم بالزّمان و المكان تحوّلت فيه حياة الشاعر إلى لعبة نرد تتأسس مفرداتها بما فيها كينونته و وجوده حياته و أحلامه و حتى هواجسه على أساس المصادفة شأنها في ذلك شأن قصيدته التي استحالت رمية نرد يؤسس لوجودها الحظّ والوحي وتحيكها الدربة و المهارة و الاجتهاد.هي وثيقة درويش الشّعرية المفتوحة على تأويلات عدّة تجعلها كنزا لعديد القراءات النقدية و شهادة متفردة على الإبداع الدّرويشي الّذي يحتاج إلى تسليط الضوء أكثر عليه بما في ذلك قصائد الدّيوان الأخير للشّاعر الرّاحل باعتبارها آخر لمساته الشعرية و الإبداعية.

و يمكن إيجاز أهمّ ما تمّ التوصّل إليه من خلال هذه القراءة فيما يأتي:

- شكّل عنوان القصيدة رباطا وثيقا مع مضمون القصيدة و كان دالاّ أساسيا و محوريّا لما ورد فيها.
- اختار درويش هذه القصيدة أن تكون عنوانا لبساطة أناه ليسرد أدقّ تفاصيلها في جوّ طغت عليه مشاعر الألم و الحزن وغمرته هواجس القلق من الموت.
- لخّص درويش سيرة حياته و جعل أهمّ محطّاتها ومجرياتها رهينة الحظّ و المصادفة الأمر الّذي عبّر من خلاله عن مدى انغماسه في أحضان الفلسفة الوجودية و تبنّيه لأحكامها.
- قصيدة درويش ضرب من الوحي و المهارة و الاجتهاد و هي في نهاية المطاف رمية نرد يمكن أن تخطئ و يمكن أن تصيب الإيقاع.
- قصيدة درويش صدام بين الوجود و الحياة وصراع مستمر مع الموت كان نتاجه الإقرار و التسليم للعدم في جوّ من التذلّل يكون فيه جواب الشّاعر و بيانه الختامي "من أنا لأخيّب ظنّ العدم؟"

قائمة المراجع:

إبراهيم خليل. (2011). *محمود درويش قيتارة فلسطين*. عمان: دار فضاءات للنشر و التوزيع.

أحمد الجوة. (2015). *الغنائية و قضايا الالتزام في شعر محمود درويش*. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع.

أدونيس. (1978). *زمن الشعر*. بيروت-لبنان: دار العودة.

البشير ضيف الله. (2009-2010). الوقائع الأسلوبية الدالة:أنماطها و خصوصياتها في قصيدة:"لاعب النرد"للشاعر الفلسطيني:محمود درويش مقاربة سيميو-أسلوبية. جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية و آدابها، الجزائر.

أمينة حاج داود. (2015). *جمالية القراءة في شعر محمود درويش*. عنابة-الجزائر: الوسام العربي للنشر و التوزيع.

بسام قطوس. (2001). *سيمياء العنوان*. عمان: مطبوعات المكتبة الوطنية.

بشرى البستاني. (2002). *قراءات في الشعر العربي الحديث*. بيروت: دار الكتاب العربي.

بهيجة مصري إدلبي. (2016). *محمود درويش و العروج إلى ما وراء المعنى*. عمان: دار فضاءات للنشر و التوزيع.

جورج من جحا. (31 .مارس. 2009). *محمود درويش..(مصحح) سيزيف الفلسطيني و حجر النرد و القصيدة التي لا تنتهي*. تم الاسترداد من رويترز/:
http://www.reuters.com/article/oegen-pales-poetry-mh4-idARACAE52UOEY20090331

سعيد علوش. (1984). *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*. الدار البيضاء: مطبوعات المكتبة الجامعية.

صفاء عبد الفتاح محمد المهداوي. (2013). *الأنا في شعر محمود درويش دراسة سوسيوثقافية في دواوينه من(1995-2008)*. الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع- جدارا للكتاب العالمي للنشر و التوزيع.

صلاح فضل. (2009). *محمود درويش حالة شعرية*. دبي: الصدى للصحافة و النشر و التوزيع.

صلاح فضل. (2010). *محمود درويش حالة شعرية*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

عباس بيضون. (02. 10. 2009). *حديث متأخر عن الشعر مع محمود درويش*. تم الاسترداد من الحوار المتمدن:
http://m.ahewar.org/s.asp?aid=186574&r=0

عبد السلام المساوي. (2009). *جماليات الموت في شعر محمود درويش*. بيروت-لبنان: دار الساقي.

عبد الناصر هلال. (2005). *تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر*. القاهرة: مركز الحضارة العربية.

عبده وازن. (2006). *محمود درويش الغريب يقع على نفسه*. بيروت: دار رياض الريس.

قلقيلية تايمز. (12. 2016). تم الاسترداد من محمود درويش- سيرة حياته الذاتية و شعره و أقواله:
https://qalqilya-taimes.blogspot.com/2016/12/darwish.html?m=1

مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط*. مصر: مكتبة الشروق الدولية.

محمد فكري الجزار. (1998). *العنوان و سيميوطيقا الاتصال الأدبي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمود أمين العالم. (2003). *فلسفة المصادفة*. مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمود درويش. (2014). *لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي*. الأردن-فلسطين: الأهلية للنشر و التوزيع-دار الناشر.

محمود درويش. (2014). *لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي*. الأردن-فلسطين: الأهلية للنشر و التوزيع-دار الناشر.

محمود درويش. (14. 2017.07). محمود درويش و حكاية هذه المقابلة/الكمال في الشعر مستحيل،لذلك أفكر دائما بالنقصان. (محمد شاهين، المحاور)